مجلة تراثية فصلية محكمة

المورد ٢

WWW.ATTAWEEL.COM

تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

المجلد الثامن عشر
العدد الثالث
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

أسد الدين محمد

معركة أجنادين

(٢٨ جمادى الاولى ١٣ هـ / ٣٠ تموز ٦٣٤ م)

دراسة

مازن مجيد مصطفى

الاعدادية المركزية للبنين ـ الموصل

١) المقدمة:ـ

من المعروف ان الخليفة الثاني ابا بكر الصديق (رض) كان يستعد لفتح الشام تنفيذاً لرغبات الرسول (ص)، وللرد كذلك على تهديدات الروم البيزنطيين بْغزو بلاد العرب. فقام باعداد خمس فرق عسكرية، بعد عودته من الحج في اواخر سنة ١٢هـ. وكانت هذه الفرق الخمسة بقيادة خمسة من القادة العرب البارزين وهم: يزيد بن ابي سفيان، الذي جعل هدفه البلقاء، وابي عبيدة عامر بن الجراح، الذي وجهه نحو الجابية، وشرحبيل ابن حسنة الذي جعل هدفه منطقة بصرى، وعمرو بن العاص، الذي جعل وجهته فلسطين، وعكرمة بن ابي جهل الذي ابقى جيشه كفرقة احتياطية في المدينة. وكان عدد افراد الجيوش المرسلة الى الشام يتجاوز العشرين الفاً. وكان الصديق يمدهم بالامدادات التلاحقة.

وقد توغلت القوات العربية الاسلامية في بلاد الشام، وقامت ببعض الاعمال العسكرية الاولية ضد القطعات العسكرية الرومية المتواجدة في جنوبي بلاد الشام، الامر الذي دفع الروم لاعداد قوة هائلة لمواجهة الزحف العربي الاسلامي. وقد بلغت هذه القوة حوالي الثلاثمئة الف مقاتل، في جيشين عظيمين، كان مقر الاول منهما فلسطين جنوبي بلاد الشام، وبلغ عدد مقاتليه حوالي المئة الف مقاتل، ومقر الثاني منهما انطاكية شمالي بلاد الشام، وبلغ عدد مقاتليه مائتي الف مقاتل او يزيد. وبعد ان علم الصديق بذلك، ارسل الى خالد بن الوليد، الذي كانت قواته تقاتل الفرس في جنوب العراق ـ منطقة الحيرة ـ يامره بالتوجه نحو الشام لنجدة الجيوش العربية الاسلامية هناك، على ان يصل باقصى سرعة ممكنة، فتقدم خالد بعشرة الاف مقاتل، وقطع بادية العراق والشام في تلك المسيرة المشهورة، في اجرأ عملية عسكرية عرفها تاريخ العصور الوسطى. وبعد ان اخضع معظم المدن التي مر بها وصل (بصرى) حيث التقى بالفرق الاسلامية الثلاث التي كانت مرابطة على ضفاف نهر الاردن وهي قوات (يزيد ـ ابي عبيدة ـ شرحبيل) وقادها جميعاً نحو فلسطين لنجدة جيش عمرو بن العاص، الذي كانت قواته ترابط في منطقة وادي عربة. وبعد ان عبرت قوات المسلمين الى فلسطين جنوبي البحر الميت، تقدمت نحو الشمال، ووصلت الى منطقة اجنادين، حيث واجهت الجيش الرومي الاول هناك ودارت بينها وبين جيش الروم معركة اجنادين المشهورة التي ترتب على قيامها نتائج عظيمة غيرت المسيرة السياسية والعسكرية لتاريخ بلاد الشام (انظر الخارطة رقم ـ١ـ)

WWW.ATTAWEEL.COM

ب) زمان ومكان المعركة وسبب تسميتها:-

لم يتفق المؤرخون الرواد على تاريخ معركة اجنادين. فمنهم من يرى انها وقعت سنة (١٣هـ)، ومنهم من يرى انها وقعت سنة (١٥هـ). بل ان قسماً منهم يورد اخبارها بين احداث سنة (١٣هـ)، وبين احداث سنة (١٥هـ). ولكن اكثر الروايات التي اوردها المؤرخون العرب الرواد تتفق على ان المعركة وقعت سنة (١٣هـ). كما ان الدراسة الحديثة ومجريات الامور تدل على ان معركة اجنادين كانت قد وقعت على الارجح في ٢٨ جمادى الاولى ١٣هـ/ ٣٠ تموز ٦٣٤م، اي قبل وقوع معركة اليرموك[1]

وبسبب اختلاف المؤرخين الرواد في تاريخ وقوع معركة اجنادين بين سنتي ١٣هـ و ١٥هـ، فان الامر سيقتضي منا، كما سنرى، ايراد قسم من اخبارها مقرونة بعهد الصديق (رض)، وقسم آخر مقرونة بعهد عمر بن الخطاب (رض). والارجح - وكما يستنتج من روايات بعض المؤرخين - ان معركة اجنادين وقعت سنة ١٣هـ في نهاية عهد الصديق، حيث تولي الخليفة في ٢٢ جمادى الثانية، وبعد ان بُشّر بخبر الانتصار فيها، اي بعد مرور اقل من شهر واحد على وقوع المعركة[2]

وربما يكون وقوع المعركة في اواخر ايام الصديق، وتولي عمر ابن الخطاب الخلافة مباشرة بعد وقوعها، هو الذي سبب بعض هذا الارباك، ولا ضير من ان نورد بعض اخبار المعركة منسوبة الى فترة حكم عمر بن الخطاب، إذ المهم استعراض كافة الجوانب التي تخص جميع احداث وقوعها.

وكما اختلف الرواة والمؤرخون في زمان وقوع المعركة، اختلفوا ايضاً في مكان وقوعها وسبب تسميتها. ويستدل من جميع ما اورده الكتاب والمؤرخون ان الساحة التي وقعت فيها معركة اجنادين ينبغي ان تكون (في المثلث الذي يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين، والا تكون بعيدة عن خربة يرموك). اما عن تسمية المعركة، فقد ذكرها بعض اصحاب المعجمات بكسر الدال (أجنادِين)، كما ذكرها بعضهم الاخر بفتح الدال (أجنَادَين) على صيغة التثنية. وربما تكون كلمة اجنادين فأخذوه من (جنابتين)، حيث كان في طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابتين - مفردها جنابة - إذ من الجائز ان تكون كلمة اجنادين تحريفاً او خطأ من قبل النساخ الذين بدّلوا كلمة جنابتين الى اجنادين، لانهم وجدوا الكلمة الاولى بلا علامات.

والاقرب الى الصحة ان اجنادين اسم جنس مضافٌ الى يوم او وقعة، لان المعركة وقعت بين العرب والروم لاول مرة، واشترك فيها من جانب العرب اربعة اجناد (جند خالد، وجند عمرو، وجند يزيد، وجند شرحبيل.) وكذلك اشتركت الروم باجنادها (جند قيسارية، وجند غزة، والجند الذي جنده هرقل بقيادة اخيه تئودور). وقد سبق وسمى العرب بعض حروبهم باسماء لاتدل على محل وقوعها وانما تدل على سبب القتال او وصف القتال... كيوم داحس والغبراء، او يوم الفجار... وكذلك فعلوا في القادسية فسموا ايام معاركها يوم ارماث، واغواث، وعماس، ويوم الهرير...[3]

جـ) وصف طبغرافي لارض المعركة:-

في دراسة تطبيقية واستنتاجية قام بها بعض المستشرقين عام ١٩٠٥-١٩٠٦ اتضح ان طبيعة الارض المرجحة مكانٌ لمعركة اجنادين تساعد فعلاً على نشوب معركة كبيرة فيها. فالارض متموجة وغير وعرة، وتسمح لحركة قوات كبيرة، وخاصة حركة الخيالة. ويجري وادي السمط موازياً لها، ماراً من المثلث الذي تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية، ويقع رأس المثلث في محل مركزي في وسط الطرق؛ والارض بين الخربة والوادي متموجة ومسورة بالادغال... وخربة يرموك واقعة فوق رابية. كما تمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادي، وتتخللها تلول صغيرة. ويمكن الجزم بان الروم كانوا قد احتلوا هذه الهضبة.

وهناك خط مؤلف من روابٍ تقوم على جانبيه انقاض الجنابتين (الشرقية والغربية). فاذا قدم الروم من الشمال والعرب من الجنوب، فيجب ان يكون الموضع الذي احتله العرب قبل المعركة هو خط الروابي بين الجنابتين، لانه يسهل الدفاع عنه من جهة، ويصلح من جهة اخرى للهجوم على موضع الروم[4]

(انظر الخارطة رقم -٢-)

د) كيف وقعت معركة اجنادين:-

سأعالج هنا مجريات احداث المعركة، مستعرضاً في البداية

كافة الروايات التاريخية التي وردت عند المؤرخين الرواد غير الواقدي، ومن اخذ عنهم، ثم اعرج بعد ذلك الى روايات مدرسة الواقدي.

لقد اختلفت الروايات التاريخية وتضاربت في الكلام عن معركة اجنادين تضارباً كبيراً، يجعل الباحث فيها محتاجاً الى بذل الكثير من الجهد كي يصل الى مبتغاه. اضافة الى ان الروايات المختلفة التي اوردها المؤرخون الرواد هي روايات مقتضبة لا تسعفنا في القاء نظرة شاملة متكاملة على مجريات احداث المعركة، حتى ان خبرها عند البلاذري، لايتعدى على عدد جيش الروم، وكلام مقتضب عن المعركة والشهداء. هذا إذا استثنينا الكلام الوارد عند الواقدي - ومن اخذ عنه - عن المعركة. حيث يفصل الواقدي في مجريات احداث المعركة الى حد بعيد، يجعل المتتبع شاكاً في حقيقة بعض ما اورده من اخبار عن هذه المعركة - رغم الفائدة الجمة التي يستطيع الباحث ان يحصل عليها مما اورده هذا المؤرخ.

اولاً: وصف المعركة كما ورد عند المؤرخين من غير مدرسة الواقدي:-

ا) تعبئة جيش الروم:-

اختلف المؤرخون الرواد في تعداد جيش الروم الذي خاض معركة اجنادين ضد العرب المسلمين. ولعل اهم سبب لهذا الاختلاف، هو اختلاط اخبار هذه المعركة مع اخبار معركة اليرموك عند الكثير منهم. ولكن البعض منهم اورد عدد افراد الجيش الرومي باجنادين بصورة واضحة، فاشار الى ان عدد افراد هذا الجيش كان مئة الف مقاتل، جمعهم هرقل من كافة النواحي، وكان هرقل يومئذٍ مقيماً في حمص [٥] وهناك من يرى ان هذا العدد عرضة للمبالغة.[٦] وتأتي اخبار معركة اجنادين لدى الطبري في سنتي ١٣هـ و١٥هـ. وبينما يجعل الطبري قيادة جيش الروم في سنة ١٣هـ لكل من (تذارق - تيودور -) او (القُبقلار)، يجعل هذه القيادة في سنة ١٥هـ (للارطبون)* مفصلاً اكثر في احداث المعركة - وعلى هذا المنوال سار المؤرخون الذين اخذوا عن الطبري. ومعنى ذلك ان ما سيرد من معلومات عن المعركة - لدى مدرسة الطبري - مقروناً بقيادة تذارق - تيودور - او القُبقلار سيكون مصدره اخبار سنة ١٣هـ، وما سيرد من معلومات عن المعركة - لدى نفس المدرسة - مقرونة بالارطبون سيكون مصدره اخبار سنة ١٥هـ

ففي اخبار سنة ١٣هـ يتكلم الطبري عن تقدم جيش الروم الى اجنادين، فيذكر ان هذا الجيش نزل اول الامر في (ثنية جَلَق) - وجلق موقع جنوبي الجابية على طريق دمشق - اذرعات - في سبعين الف مقاتل تحت قيادة (تذارق)، اخو هرقل لامه وابيه، ولما علم الروم بتحرك قوات العرب المسلمين المتجمعة في بصرى بقيادة خالد بن الوليد، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن ابي سفيان، لنجدة جيش عمرو بن العاص في جنوبي فلسطين، حركوا جيشهم من جلق الى اجنادين بقيادة تذارق نفسه. الا ان الطبري يشير بعد ذلك الى ان قائد الروم كان رجلاً يدعى (القُبقلار) كان هرقل قد استخلفه على الشام حين سار الى القسطنطينية، وان تذارق التحق به ومن معه من الروم. ولكن الطبري يكمل كلامه بقوله (فاما علماء الشام فيزعمون انما كان على الروم تذارق والله اعلم)[٣].

ثم يشير الطبري - في اخبار سنة ١٥هـ وبعض المؤرخين المسلمين الاخرين - الى ان الروم كانت متحصنة في حصونها وخنادقها في اجنادين تحت قيادة (الارطبون) وهو رجل «من ادهى الروم، وابعدها غوراً، وانكاها فعلاً». وقد فصل المؤرخون العرب الرواد - الى حد ما - في الكلام عن جهود الارطبون في مواجهة العرب المسلمين بصورة اكثر من غيره فقالوا: بان الارطبون وضع بالرملة جنداً وبايلياء (بيت المقدس) كذلك جنداً عظيماً. الامر الذي استدعى ان يكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب (رض) بالخبر. فلما وصل عمر بن الخطاب كتاب عمرو بن العاص قال «قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عما تنفرّج»[٤]

وهناك رواية حديثة توضح الخطة العسكرية التي سار عليها القائد الرومي (تذارق - تئودور -). حيث تشير الى ان تئودور تقدم بجيشه من حمص، وارسل صاحب الساقة الى (ثنية جلق) وان صاحب الساقة هذا ربما كُلف بمراقبة قوات يزيد وشرحبيل في شرق الاردن. وبعد ان اتى خالد بن الوليد من العراق واجتمع بتلك القوات، وفتح بصرى، تقدم على رأس تلك القوات واجتمع بجند عمرو بن العاص في الغمر، ولا تستبعد تلك الرواية ان جيش الروم كان يراقب خالد من مكان قرب الجابية،

فلما علم انه سار نحو الجنوب، ترك الجابية واجتاز الاردن الى وسط فلسطين، وكان هدفه حماية القدس وبيت لحم. وقد ارتأى قائده الوقوف في اطراف خربة يرموك شمال وادي الصمت... وبذلك يكون قد اختار موقعاً وسطاً يمنع المسلمين من التقدم نحو القدس وقيسارية قاعدة البلاد. ولما رأى قائد الجيش صلاحية هذا الموقع للدفاع والهجوم اتخذ موقعه في الهضبة الممتدة جنوباً نحو وادي الصمت، واضعاً بذلك طريق القدس على جانبه الايسر، وطريق الرملة ـ قيسارية على جانبه الايمن، وبذلك يكون قد اختار «موقعاً جنبياً»، كما يعبر عنه بالمصطلحات العسكرية، لانه يقفل الطرق القادمة من الجنوب، ويجبر العدو على المهاجمة، حيث لايمكن لقوات العرب ان تترك جيش الروم على جانبها وتتقدم نحو القدس وقيسارية. ويبدو ان الجيش الرومي سبق القوات العربية في احتلال هذا الموقع، لان الطريق الذي قطعه خالد اطول بكثير من الطريق بين الجابية وخربة يرموك. لان خالد اجتاز شرقي الاردن جميعها، ثم تقدم الى جنوب البحر الميت، واجتمع بجند عمرو بن العاص في وادي عربة، ثم سارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقي متجنبة المدن المحصنة كحبرون وغزة... ولما وصلت جنوبي وادي الصمت عسكرت في الهضبة الجنوبية وجعلت الوادي ستاراً لها.»[9] (انظر الخارطة رقم ـ٢ـ)

ولم يدون شيء بخصوص مراكز القادة الروم المذكورين اعلاه او توزيع العمل بينهم بشكل واضح. ويبدو انه كان لكل منهم مهمته الخاصة به، وهناك رواية حديثة حاولت التوفيق بين قادة المعركة الذين ذكرهم الطبري في اخبار سنة ١٣ و١٥ الهجريتين، فاشارت الى ان فقدان الروم للقسم الجنوبي من بلاد الشام بعد دخول القوات الاسلامية اليها، جعلهم يبدأون العمل، فزحفت قوتهم الكبرى الى حمص من انطاكية، بقيادة (تيودور ـ تذارق) شقيق هرقل، الذي يبدو انه ترك منصب القيادة العامة لجيش فلسطين بعد ان اكمل تجهيزه الى البطريق (ارطبون) وعاد الى انطاكية طبقاً لاوامر اخيه فتولى قيادة جيشها، وسار الى حمص، وكانت خطته تقوم على ضرب جيوش العرب الثلاثة الواحد بعد الاخر وطردها الى الوراء من الحدود (١٠) الا ان هناك رواية اخرى يوردها المؤرخون الرواد من مدرسة الطبري في اخبار سنة ١٥هـ، تشير الى ان (تذارق ـ تيودور ـ) كان عند قيام معركة اجنادين قائداً للجيش الرومي الموجود في منطقة الرملة. ومعنى ذلك انه تنازل عن القيادة العامة في فلسطين للارطبون، واصبح قائداً تابعاً له. وهكذا نرى ان هناك رواية تجعل تذارق قائداً لمعركة اجنادين واخرى تجعل القبقلار هو القائد لهذه المعركة، وثالثة تجعل الارطبون قائدها. اضافة الى رواية اخرى حديثة ترى ان الارطبون كان قائداً لجيش غزة ـ كما سنرى ـ اما رواية الواقدي فتجعل (وردان) هو القائد العام لهذه المعركة. ومهما يكن من امر، فان المعركة قد جرت، وليس العبرة في اختلاف اسماء قادة الجيش الذين خاضوا غمارها، بقدر العبرة من مجريات احداث المعركة. وطالما نحن الان نسير مع مدرسة الطبري، فاننا نستطيع القول بان قيادة المعركة كانت لتذارق او للقبقلار سنة ١٣هـ وللارطبون سنة ١٥هـ ولكن هل ان هذا الخلاف يعطي انطباعاً ما ؟ هذا ما ستعرض له فيما بعد. ويبدو ان الجيش الرومي تقدم نحو فلسطين عن طريق طبرية فالناصرة فقيسارية، التي كان يستطيع ان يستعملها في هذا الوقت كقاعدة امامية. وكان باستطاعة البيزنطيين تموين جيشهم في فلسطين من ميناء قيسارية او من ميناءي يافا وغزة فيما بعد، لانهم كانوا يسيطرون على البحر، وكان الهدف من هذه العملية برمتها هو الانتصار على جيش عمرو بن العاص في منطقة بئر السبع في الوقت الذي تكون فيه قوات المسلمين الرئيسة مشغولة في اليرموك. واعتقد هرقل إن تحقيق هذه الغاية سيساعده في الزحف على ايلة (العقبة) حيث يكون قادراً على تهديد مواصلات المسلمين مع مكة والمدينة. مرغماً بذلك قواتهم الرئيسة في التراجع عن اليرموك»[10] (انظر الخارطة رقم ـ١ـ)

ب) تعبئة الجيش العربي الاسلامي:ـ

اختلف المؤرخون العرب في تعداد جيش المسلمين الذي دخل بلاد الشام ـ قبل وصول جيش خالد بن الوليد من العراق ـ اختلافاً كبيراً، وهذا الاختلاف يقع ما بين (٢٠، ٢٤، ٢٧، ٢٨) الفاً. وطالما ان جميع الجيوش المرسلة الى الشام اشتركت في اجنادين، اضافة الى جيش خالد بن الوليد المتقدم من العراق، والذي كان تعداده عشرة الاف مقاتل، فسيكون العدد الكلي للجيش الاسلامي في اعلى تقدير ما بين ٣٨ ـ ٤٠ الف مقاتل[11]. وهو نفس العدد الذي اشترك فيه المسلمون في معركة اليرموك التي جرت بعد ذلك، لذا فمن المحتمل ان يكون عدد المسلمين

في معركة اجنادين اقل من العدد الكلي المذكور، لانه من الواجب ان تكون العاصمة (المدينة) قد امدتهم بتعزيزات اضافية بعد خوض معركة اجنادين وقبل خوض معركة اليرموك.

وإذا ما اخذنا بنظر الاعتبار، القوات التي ارسلها القادة العرب الى القدس والرملة وقيسارية، قبل معركة اجنادين، والامدادات التي ارسلت لهم بعد خوض معركة اجنادين، فمن الواجب ان يكون العدد اقل بكثير من اربعين الف مقاتل. ونستطيع القول بان عدد المقاتلين العرب المسلمين في اجنادين بلغ الثلاثين الفاً او يزيد قليلاً.

وتأتي اخبار تعبئة الجيش العربي الاسلامي لدى مدرسة الطبري في اخبار سنة ١٥هـ فقط، حيث يشير رواد هذه المدرسة الى ان (عمر بن الخطاب) ـ وقبل ان يقوم جيش المسلمين باي عمل جبهوي ـ قرر تأمين الاطراف ومشاغلتها عن جيش عمرو ابن العاص، ومنعها من مساعدة قوات العدو في جبهة القتال فقام بما يأتي:ـ

١) ارسل عَلْقَمَة بن حكيم الفِراسيّ، ومسروق بن فلان العَكّيّ لمواجهة اهل ايلياء (بيت المقدس).

٢) ارسل (ابو ايوب المالكي) الى الرملة، وكان عليها التذارق.

٣) كتب عمر (رض) الى يزيد بان يبعث معاوية بفرسانه الى قيسارية، وكتب بذلك ايضاً الى معاوية[١٣]. وقد نجح معاوية في السيطرة على ثغر قيسارية، وقد تحقق عن سقوط هذا الثغر هدفان:ـ

١) اطمأن المسلمون الى عدم مشاركة هذا الثغر في القتال وامنوا جانبه.

٢) استطاع المسلمون بذلك قطع طريق الامداد على ارطبون، واضطر هذا القائد ان يعتمد على القوات التي تحت قيادته فقط.

والواقع ان الجيوش الحديثة تسعى دائماً الى القضاء على طرق الامدادات حتى لا يعوض العدو خسارته، ومن الامثلة على ذلك استيلاء الالمان على ميناء طبرق الذي كان المصدر الرئيس لامدادات القوات البريطانية خلال حرب الصحراء الغربية.[١٤] وفي هذا الدليل الكافي على اصالة الفكر العربي العسكري الاسلامي، في هذه الفترة المبكرة من تاريخ العرب المسلمين.

اما عمرو بن العاص فبعد ان أمن جبهته قام بما يلي:ـ

١) بعد ان توالت الامدادات عليه قام بارسال (محمد بن عمرو) مدداً لعلقمة ومسروق، وارسل (عمارة بن عمرو بن امية الضَمْريّ) مدداً لابي ايوب[١٥]

٢) خرج لمواجهة القائد الرومي (الارطبون) كما يلي:ـ

ا) شرحبيل بن حسنة على مقدمته.

ب) ابنه عبد الله بن عمرو على ميمنته.

ج) جنادة بن تميم المالكي ـ من بني مالك بن كنانة ـ على ميسرته.

د) استخلف على الأردُن (ابا الاعور السلمي)[١٦]

ج) اسلوب الطرفين في الحصول على المعلومات:ـ

رغب الروم في الحصول على معلومات سرية عن قوة العرب ونواياهم، فارسل القبقلار رجلاً عربياً يقال له (ابن هزارف)، وطلب منه ان يدخل على العرب في معسكرهم، ويقيم فيهم يوماً وليلة، ثم يأتيه بخبرهم، فدخل هذا الرجل معسكر العرب، واقام فيه المدة المطلوبة، ثم عاد الى القبقلار، فسأله هذا عما رآه، فقال الرجل «بالليل رهبان وبالنهار فرسان، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجم لاقامة الحق بينهم» فقال له القبقلار «لئن كنت صَدمتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت ان حَظي من الله ان يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ.»[١٧]

ومثلما فعل الروم فعل عمرو بن العاص، فقد اقام باجنادين وهو يتسقط اخبار الارطبون، ولكن الرسل لم تسعفه بما يريد. فتولى عمرو مهمة الحصول على المعلومات بنفسه، فدخل على الارطبون في هيئة رسول، وابلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه، حتى بلغ ما اراد. ويبدو ان الارطبون كان قد شك في الامر، فاعتقد بان هذا الرجل اما ان يكون عمرو او من يأخذ عمرو برأيه. فقدم له الهدايا اولاً. وصمم على قتله كي يحبط معنوية العرب. فدعا رجلاً من حرسه وسره بالامر طالباً منه ان يكمن لعمرو في مكان عينه له، وان يقتله إذا مر به. ولكن عمرو اكتشف المؤامرة، إذ عند خروجه من عند الارطبون مر برجل من نصارى غسان فعرفه وقال له: ياعمرو قد احسنت الدخول فاحسن الخروج. ففطن عمرو لما قاله ورجع الى الارطبون فسأله هذا عن سبب رجوعه، فقال له عمرو: قد اغراني ما اعطيتني وانا واحد من عشرة ارسلنا عمر (رض) للنكاية بك، واردت ان يصيبهم مثل ما اصابني من الهدايا. فوافق الارطبون على ذلك.

وارسل الى الرجل المكلف بقتل عمرو، وامره بان يخلي سبيل عمرو. وبعد ان خرج عمرو من المأزق علم الارطبون انها خدعة فقال «خدعني الرجل، هذا ادهى الخلق».

وبلغت خديعة عمرو للارطبون مسامع عمر بن الخطاب (رض) فقال «غلبه عمرو، لله عمرو..»[١٨]

ورغم ما قد يكون في هذه القصة من تكلف وافتعال، الا ان العقاد ـ الذي اعتبر الارطبون صاحب غزة ـ يبررها فيقول: ليس من الواجب ان تصح اصولها ولا فروعها، ولكنها تدل ـ ولو كانت مؤلفة ـ على اشياء قريبة من الحقيقة، لان صحة الاخبار العامة لا تستقيم بغيرها. فمن تلك الامور شهرة عمرو بالدخول في امثال هذه المداخل العويصة..»[١٩]

من كل ما تقدم تتضح لنا شخصية عمرو بن العاص، حيث ان مفتاح هذه الشخصية انه كان يستعرض جوانب القوة، ويوازن بين ما لدى اعدائه واصحابه من القدرة موازنة طويلة.. فقد كان رجلاً يتقن الحساب، ويجيد المساومة... يقف ساكناً، ويفكر طويلاً... ثم يساوم في حمص، انه كان يشترط دائماً.. وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة ارض فلسطين، والمناطق الصالحة للقتال فيها والطرق المؤدية اليها، وبمزايا اهلها ومزايا الروم، اثر حاسم في انتصاره في المعارك التي خاضها في هذه البلاد.[٢٠]

د) التقدم للقتال:ـ

التقى عمرو بن العاص بالروم في اجنادين، واقتتلوا قتالاً شديداً، استطاعت بعده القوات الاسلامية الموحدة ان تنصر قوات البيزنطيين. فلما رأى (القبقلار) ما رأى من شجاعة المسلمين، طلب من الروم ان يلفوا رأسه بثوب، فلما سألوه عن السبب قال «يوم البئيس لا احب ان اراه، ما رأيت في الدنيا يوماً اشد من هذا» فاخذ المسلمون رأسه وهو ملفلف.[٢١]

هذا كل ما اوردته مدرسة الطبري عن القتال في اخبار سنة ١٣هـ. الا ان رواد هذه المدرسة يوردون اخباراً اخرى عن المعركة في احداث سنة ١٥هـ فيشيرون الى هزيمة الارطبون على اثر المعركة الى ايلياء (بيت المقدس) «ولما قدم الارطبون الى ايلياء، سمح له المسلمون بدخولها، ثم ازالهم الى اجنادين.» فانضمت قوات علقمة ومسروق ومحمد بن عمر وابو ايوب الى عمرو باجنادين... الامر الذي استدعى من عمرو بن العاص ان يطلب الى عمر بن الخطاب (رض) توجيه النجدات الى بلاد الشام[٢٢]. هذا كل ما اورده الطبري وابن الاثير عن القتال.

وهذا الحديث يستدعي التأمل قليلاً. فلماذا سمح المحاصرون للقدس للارطبون بدخولها دون قتال ؟، وهو الامر الذي يؤكده ابن خلدون فيقول «وانهزم ارطبون الى بيت المقدس، واخرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل»[٢٣] وكيف استطاع الارطبون تهزيمهم الى اجنادين كي ينضموا الى عمرو بن العاص، علماً بان احدهم وهو (ابو ايوب) كان محاصراً للرملة وليس لبيت المقدس.

فهل هزمهم الارطبون ؟ ام انهم انسحبوا من تلقاء انفسهم ؟ بطلب من عمرو لسبب من الاسباب ؟ خصوصاً وان ابن خلدون يقول «ورجعوا الى عمر وقد نزل اجنادين».[٢٤] وإذا كان هؤلاء القادة العرب قد تجمعوا في اجنادين مرة اخرى بطلب من عمرو، فهل لتوجيه ضربة للقوات الرومية المنسحبة نحو الاردن، ام لخوض معركة اخرى مع بقية القوات الرومية التي كانت بقيادة غير الارطبون ؟

قد تبدو الملاحظات التالية ذات اهمية:ـ

١) ان اخبار معركة اجنادين وردت لدى المؤرخين الرواد من اتباع مدرسة الطبري موزعة بين عهد الخليفتين ابي بكر وعمر.

٢) ان الطبري رغم ذكره ـ في اخبار سنة ١٣هـ لقيادة خالد بن الوليد للجيوش العربية الاسلامية المتقدمة من بصرى الى فلسطين لنجدة قوات عمرو بن العاص، وذكره كذلك لتقدم الروم عند سماعها بالخبر من جلق الى اجنادين، الا انه (الطبري) لم يذكر لمن كانت قيادة معركة اجنادين لخالد ام لعمرو ابن العاص[٢٥]

٣) جعل الطبري ـ في اخبار سنة ١٥هـ القيادة العليا لمعركة اجنادين لعمرو بن العاص دون ذكر لخالد بن الوليد. كما انه فصل في اخبار المعركة بشكل اوسع مما فعله عنها في اخبار سنة ١٣هـ.

٤) يتضح من الرسالة التي ارسلها الارطبون لعمرو بن العاص بعد هزيمته (الارطبون) الى بيت المقدس ان عمراً كان مصراً على متابعة القتال ضد الارطبون «والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد اجنادين، فارجع ولا تغتر فتلقى ما لقي غيرك من الهزيمة».[٢٦]

٥) سنرى من ناحية اخرى ان (الواقدي) ومن اخذ عنه من المؤرخين العرب يتكلمون عن معركة اجنادين بصورة مغايرة تماماً

لما اورده الطبري، جاعلين القيادة والدور الفاعل فيها لاشخاص غير عمرو بن العاص وجماعته المذكورين اعلاه. فاذا اضفنا الى هذا كله، ما ذكرناه اعلاه من سماح المسلمين للارطبون بدخول بيت المقدس دون قتال بعد انسحابه من معركة اجنادين وازالتهم او (رجوعهم) الى عمرو بن العاص في منطقة اجنادين. ثم عدم وجود انسجام وتطابق بين اسماء قادة المعركة الرئيسيين والفرعيين، حيث تختلف تعبئة المعركة لدى المؤرخين الرواد، لا بل عند المؤرخ الواحد - كالواقدي - الى درجة ان بعض القادة المرموقين الذين خرجوا من الجزيرة العربية بهدف الاشتراك في هذه المعركة لم ترد اسماؤهم في بعض هذه التعبئات التي اوردها المؤرخون الرواد. اضافة الى اختلاف اسماء القادة الروم الا يصح لنا القول بان من الارجح ان هناك اكثر من معركة وقعت في منطقة اجنادين بحيث طغت اخبار احداها على الاخرى. او ان معركة اجنادين نفسها كانت بدورين او ثلاث، توزعت القيادة فيها بين قادة العرب وقادة الروم، الامر الذي سبب هذا الارتباك لدى المؤرخين الرواد والمؤرخين الذين اخذوا عنهم.

من المحتمل ان يكون ذلك قد جرى، على ان نستبعد القول بان هناك معركتين وقعتا في اجنادين احداهما سنة ١٣هـ، والاخرى سنة ١٥هـ، بسبب مااثبته الدراسات الحديثة من ان المعركة وقعت سنة ١٣هـ - كما سبق وذكرنا -

ثانياً: مدرسة الواقدي ومعركة اجنادين:

١) ما تصوره البعض كلاماً للواقدي عن معركة اجنادين:-

لقد ذكر الواقدي كلاماً عن قتال دار في فلسطين بعد وصول عمرو بن العاص اليها، كما ذكر تعبئة لجيش عمرو بن العاص لم يذكره غيره من المؤرخين الرواد. اضافة الى ان هذا القتال وهذه التعبئة تختلف عما اورده الواقدي نفسه بعد ذلك من قتال وتعبئة لمعركة اجنادين. وواضح من كلام الواقدي الاول ان المقصود قيام بعض المناوشات والقتال في فلسطين قبيل قيام معركة اجنادين المشهورة. او على اكبر تقدير ان المقصود به احدى التعبئات التي اوردها الواقدي عن معركة اجنادين. ولكن الغريب في الامر هو ان بعض المؤرخين المحدثين، اخذوا تعبئة الواقدي الاولى فقط على اعتبار انها تعبئة لمعركة اجنادين المقصودة دون الاشارة الى غيرها - وبنوا كلامهم على هذا الاساس - كما ان البعض منهم لم يذكر حتى مصدره.[٣٦] علماً بان الواقدي لم يشر بشكل صريح الى ان المقصود بها معركة اجنادين، بينما اشار الى ذلك فيما بعد بشكل واضح تماماً. وفيما يلي ملخصاً لما ذكره الواقدي في هذا المجال:-

عندما وصل عمرو بن العاص بجيشه الى فلسطين، اقبل عليه عدي بن عامر، وهو رجل كان كثير التردد على بلاد الشام، فسأله عمرو عما وراءه، فاجابه عدي بان وراءه الروم، وهم مثل النمل، وان عددهم مئة الف فارس، وشاور عمرو اصحابه، فقرروا بعد مناقشة الموقف ان يجابهوا العدو بصورة مباشرة. فعقد عمرو الراية لعبد الله بن عمر (رض) على رأس الف فارس. وعندما تقدم عبد الله اشتبك مع قوة رومية عدد افرادها عشرة الاف مقاتل... واستطاع عبد الله قتل قائد الحملة، فاضطرب جيش الروم وانهزم افراده... وقتل من المسلمين سبعة افراد. ثم عادت القوة الاسلامية الى معسكر عمرو بن العاص. وبعد ان استنطق عمرو الاسرى الروم عرف بان (روبيس) القائد الرومي مقبل الى فلسطين في مئة الف فارس... وان البطريق الذي قتله عبدالله هو قائد الطليعة التي ارسلها روبيس[٣٨]

ثم ينتقل الواقدي عن ابي الدرداء بان الجيش الاسلامي تقدم مرة اخرى في الصباح، حتى لاقى قوة رومية من مئة الف فارس، فرتب عمرو اصحابه كما يلي:-

١) الميمنة : الضحاك
٢) الميسرة : سعيد بن خالد
٣) الساقة : ابو الدرداء
٤) القلب : عمرو ومعه اهل مكة

وكان سعيد بن خالد اول من تقدم فحمل على ميمنة العدو وميسرته واربك هيكل الجيش الرومي، ولكنه استشهد في المعركة... ثم هجم عمرو مع بقية اصحابه. وبعد قتال عنيف انتصر المسلمون عند الزوال، وانهزمت قوات الروم تطاردها قوات المسلمين. وقد بلغ عدد قتلى الروم في هذه المعركة اكثر من خمسة عشر الف فارس، وفقد المسلمون مئة وثلاثين رجلاً![٣٩]

ثم يشير الواقدي بعد ذلك الى ان عمراً كتب الى ابي عبيدة يخبره الخبر، ويعرض عليه مساعدته، وان خالد بن سعيد الذي كان في جيش ابي عبيدة عندما سمع باستشهاد ابيه قرر الذهاب الى

معسكر عمرو لاخذ الثأر من الروم. ثم يذكر بعض المناوشات التي قامت بها فرق خالد بن سعيد الصغيرة.
ويدخل الواقدي بعد ذلك في خبر معركة اجنادين المعروفة.[٣٠] وهذا الكلام الاخير الذي ذكرناه اعلاه يدل على ان المقصود به غير معركة اجنادين المعروفة إذ من المفروض ان تكون قوات ابي عبيدة مشاركة في معركة اجنادين بعد ان تقدم خالد بن الوليد بالفرق الاسلامية الثلاث المرابطة في منطقة بصرى ـ ومنها فرقة ابي عبيدة الى فلسطين لنجدة عمرو بن العاص ولخوض معركة اجنادين.

كما يبدو من الكلام الذي ينقله الواقدي ان جيش الروم تجمع بعد القتال المذكور اعلاه في اجنادين، وبالنظر لضخامة عدد جيش الروم، فقد ارسل ابو بكر لخالد بن الوليد يأمره بالتقدم من العراق الى الشام. وفي هذا دليل آخر لدى الواقدي نفسه يشير الى ان القتال المذكور اعلاه وقع قبل معركة اجنادين التي نحن بصددها. ثم يروي الواقدي قصة عبور خالد للبادية داخلا اخيراً في الكلام عن معركة اجنادين[٣١]

فاذا ما اعدنا النظر في كلام الواقدي الذي ذكرناه نجد ان المقصود به قتال غير معركة اجنادين التي نحن بصددها، بل قتال دار على ارض فلسطين قبل هذه المعركة، وان ما ذكره الواقدي من تعبئة لهذا القتال هو غير تعبئة معركة اجنادين التي تكلم عنها بعد ذلك ـ كما سنرى ـ ولهذا فان المؤرخين الذين اخذوا عن الواقدي هذه التعبئة معتبرينها تعبئة لمعركة اجنادين المشهورة هم واهمون، او ـ على اقل فرض ـ كان الاحرى بهم ان يشيروا الى التعبئة الاخرى الاهم التي اوردها الواقدي.

ولعل ما ذكره الواقدي من ان عدد قوات الروم كان قد بلغ مئة الف مقاتل في القتال الاول المذكور اعلاه، هو الذي اوحى لهؤلاء المؤرخين المحدثين بالاعتقاد بان المقصود بهذا هو معركة اجنادين، بالنظر الى عدد مقاتلي الروم كان قد بلغ في معركة اجنادين الشهيرة نفس العدد تقريباً. او لعل ما قاله الواقدي من ان هرقل امر روبيس بالتوجه الى فلسطين «وسار من يومه الى اجنادين»[٣٢] هو الذي اوحى بذلك ايضاً. ولعل مما يؤكد ان المقصود بالقتال الذي ذكرناه قتالاً غير معركة اجنادين، ان الواقدي يطلق على ـ لسان شهود المعركة ـ على القتال عبارة «يوم فلسطين»[٣٣]

والغريب في الامر ايضاً ان هؤلاء المؤرخين المحدثين قد جعلوا التعبئة المذكورة اعلاه لخالد بن الوليد بعد وصوله من العراق، مشيرين الى ان خالد بن الوليد بعد توزيعه للقادة على الشكل المذكور اعلاه، طلب من عمرو بن العاص ان يستدرج القائد الرومي (سرجيوس!) اليه موهماً اياه انه وحده في ساحة القتال، بينما يتعقب هو عمراً ويفاجئ (سرجيوس) بعد ان يكون قد اشتبك معه في القتال.»[٣٤]

والواقع ان الواقدي لم يذكر هذا ابداً، في المكان المخصص للتعبئة المذكورة اعلاه حيث جعل قائد المعركة وموجهها (عمرو بن العاص) ولا ذكر هنا ابداً لخالد بن الوليد. الذي اعطاه المكان الاول عند كلامه عن معركة اجنادين فيما بعد بشكل صريح. ويبدو ان المؤرخين المحدثين المذكورين، بعد ان تكلموا عن قدوم خالد بن الوليد من العراق ـ معتمدين بذلك على غير الواقدي ـ اخذوا عن الواقدي اول تعبئة لجيش خاض اول معركة ينطبق عليها بعض اوصاف معركة اجنادين في فلسطين ناسبين قيادتها لخالد وليس لعمرو بن العاص. وكان الاجدر بهم اما ان يأخذوا التعبئة عن غير الواقدي ـ كالطبري مثلاً ـ ويجعلوا بذلك القيادة العليا لعمرو بن العاص، والقيادة الفرعية لقادة غير القادة الذين اوردهم الواقدي. او ان يسيروا مع الواقدي الى الاخير كي يكتشفوا ان هناك تعبئة اخرى واضحة ودقيقة لمعركة اجنادين القائد الاعلى فيها خالد بن الوليد والقادة التابعون فيها غير القادة التابعين في التعبئة السابقة.

ومن المحتمل ان تكون الاسباب الموجبة لهذا الوهم الذي وقع به بعض المؤرخين المحدثين هو اسلوب عرض الاحداث في بعض نسخ كتاب الواقدي ـ فتوح الشام ـ ففي احدى هذه النسخ، يقسم المصحح هذه النسخة الى مواضيع تحت عناوين يضعها في اعلى الصفحة. وعند الوصول الى المكان الذي وردت فيه اخبار القتال المزعوم انه معركة اجنادين يضعه تحت عنوان (في احوال وقعة اجنادين ـ ص ٢٧ ـ) ثم (وقعة اجنادين ـ ص ٣١). ويبدو ان المؤرخين المحدثين المذكورين تأثروا بالعنوان، فاخذوا عن هذه النسخة التعبئة المذكورة سابقاً ومن ـ ص ٣٢ ـ على اساس انها تعبئة لمعركة اجنادين المعروفة دون الاستمرار في مراجعة النسخة، حيث يورد الواقدي خبر مسيرة خالد من العراق، ثم بعد ذلك خبر معركة اجنادين بشكل مفصل اعتباراً من ص ١٠١ فما بعد.»[٣٥]

وعلى عكس ما توهمه البعض فقد انتبه الى المسألة المذكورة احد المؤرخين المحدثين، فتكلم عن القتال الاول السابق لمعركة اجنادين، كما اوردنا ملخصه في بداية الحديث، اي منذ ارسال عمرو بن العاص قوة الاستطلاع بقيادة عبدالله بن عمر (رض)... ثم مقابلة جيش (روبيس) بالتعبئة التي وضعها عمرو بن العاص، حتى ارسال عمرو رسالته الى ابي عبيدة يعرض عليه المساعدة، ثم تقدم خالد بن سعيد الى جيش عمرو بن العاص في فلسطين طلباً لثأر ابيه[٣٦]

ب) اخبار معركة اجنادين كما اوردتها مدرسة الواقدي:-

على العكس مما ذكرنا سابقاً من اخبار عن معركة اجنادين، تلك الاخبار التي جاء معظمها عند المؤرخين الرواد من غير الواقدي بشكل موجز وغير واضح، نرى ان الواقدي يفصل في اخبار هذه المعركة الى درجة تبعث الى الشك فيما اورده في بعض المواضيع. ولكن مع ذلك فان ما اورده الواقدي من اخبار عن المعركة لا تخلو من فائدة، ولا يجوز ان يهمل باجمعه، وقد استفاد مما اورده الواقدي بعض الكتاب المحدثين وعلى الخصوص العسكريون، واعتقد ان سبب ذلك يعود الى ان روايات الواقدي عن المعركة تناسب وصول هؤلاء العسكريين. إذ ان الواقدي يصف جو المعركة وصفاً حياً متتبعاً اقصى دقائقها. ولنسر الان مع مدرسة الواقدي، كي نغطي اخبار معركة اجنادين من كافة الجوانب.

١)تعبئة قوات الطرفين:-

ما ان وصلت اخبار وصول العرب المسلمين الى فلسطين حتى استدعى هرقل قائده (وردان) صاحب حمص، وطلب منه التوجه في اثني عشر الفاً الى اجنادين، كما طلب منه ان يفرق جيش الروم في طرقات البلقاء، وجبال السواد، حتى لا يلتحق احد من العرب بجيش عمرو بن العاص، ولا يلتحق جيش عمرو بن العاص بجيش خالد بن الوليد. وقد فعل (وردان) ذلك حال وصوله الى حماة. وارسل من هناك ايضاً كتاباً الى القادة الروم في اجنادين فيه فحوى ما ذكرنا. ومما يدل على اهمية وخطورة الموقف ان (وردان) عاهد هرقل بانه سيعود برأس خالد وسيدخل الحجاز وسيهدم الكعبة ويدمر مكة والمدينة. وقد عاهده هرقل في حالة تنفيذه ذلك بانه سيعطيه حرث وخراج هذه المناطق وسيجعله الملك من بعده.[٣٧]

وبعد ان وصل خالد بن الوليد من العراق الى الشام وحاصر دمشق وعلم بتجمع الروم في اجنادين بثمانين الفاً بقيادة (وردان)، كتب الى ابي عبيدة يعلمه بذلك فاجابه ابو عبيدة بان يكتب الى القادة المتفرقين مثل شرحبيل بن حسنة الذي كان بارض بصرى، ومعاذ بن جبل، الذي كان في جوران، ويزيد بن ابي سفيان الذي كان في البلقاء، والنعمان بن المغيرة بارض تدمر واركة، وعمرو بن العاص بارض فلسطين - وادي الغربة - كي يلتحقوا بهما في اجنادين. ففعل خالد ذلك.[٣٨]

لقد اسس العرب المسلمون الان معسكراً واسعاً يتناسب مع قوة الجيش الاسلامي الذي كان تعداده ٣٢,٠٠٠ رجل. وهذه اكبر قوة اسلامية تجمعت لحد الان لخوض معركة. وكان المعسكر الاسلامي يقع على بعد ميل من المعسكر الروماني، الذي كان اكبر من المعسكر الاسلامي، وكان يسيطر على الطريق من القدس حتى بيت جبرين. لقد كان المعسكران المتقابلان يمتدان كخطين متوازيين، كي يتمكنا من النزول الى ميدان المعركة في اللحظة المناسبة من دون حاجة الى حركة غير ضرورية.

لقد استغرق المسلمون اسبوعاً في تحشيد جيشهم في اجنادين، الامر الذي تطلب من الرومان اكثر من شهرين كاملين. وكأي قوة نظامية معقدة كان جيش الروم يحتاج الى وقت طويل في حركته. وكان عليه ان يقضي الاسابيع في التحضيرات... وطالما انه كان يتقدم بالاف العربات، فقد كان بحاجة الى طرق جديدة لحركته. ولكن على الرغم من كل ذلك فقد استطاع الروم خلال هذين الشهرين تحشيد جيش من ٩٠,٠٠٠ رجل في اجنادين، تحت قيادة (وردان) حاكم حمص، وقائد آخر يدعى (قبقلار) عمل كرئيس للاركان او نائب القائد العام.(*)

لقد كان لمنظر معسكر جيش الروم الضخم تأثير مزعج على المسلمين، فكل فرد منهم كان يعلم قوة جيش الروم - شبح مذهل من ٩٠,٠٠٠ مقاتل - كما ان اغلبية المسلمين لم تشارك ابداً في معركة عظيمة كهذه. ان الرجال الوحيدين الذين لم يتأثروا بمشهد معسكر الروم هم التسعة الاف محارب متمرس

الذين كانوا مع خالد بن الوليد، والذين كانوا قد قاتلوا في معارك نظامية ضد جيوش كبيرة في العراق. ولكن رغم ذلك فحتى هؤلاء لم يجابهوا ابداً قبل ذلك اي جيش بهذا الحجم.[٣]

٢) ترتيبات ما قبل المعركة:ـ

ا) اجراءآت خالد بن الوليد:ـ

قبل القيام بالهجوم العام واشتباك قوات الطرفين قرر خالد القيام بما يأتي:ـ

١) ارسال رجل للقيام بمهمة استطلاع قوات جيش العدو. وعندما تقدم خالد بالفكرة عرض (ضرار بن الازور) نفسه للاضطلاع بها. فوافق خالد طالباً من ضرار الا يجازف بنفسه ويرمي بها في التهلكة. لكن ضرار تقدم كثيراً من معسكر العدو، فقام ثلاثون من رجال العدو بالانقضاض عليه فتأثر ضرار الانسحاب امامهم متظاهراً بالهزيمة، كي يبعدهم عن مصدر قوتهم. ثم انثنى بعد ذلك عليهم فقتل احدهم برمية رمح ثم اجهز على الاخر واستمر في مهاجمتهم حتى قتل (١٩) رجلاً منهم!. ولما عاد ضرار الى معسكر المسلمين اتبه خالد على القيام بهذه المجازفة، الا ان اخبار اعمال ضرار شغلت افكار معسكر العدو طيلة تلك الليلة[٤] والمبالغة في كلام الواقدي هنا واضحة تماماً. كما ان مهمة ضرار كانت في الاساس مهمة استطلاعية وليس مهمة تعرضية.

٢) رتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين كما يلي:ـ

ا) القلب: معاذ بن جبل

ب) الميمنة: عبد الرحمن بن ابي بكر

جـ) الميسرة: سعيد بن عامر

د) الجناح الايسر: شرحبيل بن حسنة

هـ) السالة: يزيد ابن ابي سفيان في اربعة الاف حول الحريم والبنات والاولاد[٥]

ويلاحظ هنا ان الواقدي لم يذكر من هو قائد الجناح الايمن. مما دفع احدهم الى القول بان خالداً قسم الفرسان الى مجموعتين:ـ مجموعة بقيادته ومجموعة بقيادة شرحبيل بن حسنة. اي انه اصبح بذلك قائداً للجناح الايمن[٦] إلا ان هناك من يرى ان مكان خالد كان في الوسط، حيث احتفظ بعدد من القادة الى جانبه لاستعمالهم كقادة لمجموعات تفرضها الضرورة في المعركة، ومن جملة هؤلاء عمرو بن العاص وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر (رض)[٧] ورغم عدم ذكر الواقدي لقائد الميمنة في هذا التقسيم، الا ان وجود خالد في الوسط الى جانب القلب امراً اكثر احتمالاً على اعتبار انه (امير الجيش).

وواضح جداً الفرق بين هذا الترتيب والترتيب الذي اورده المؤرخون الرواد من غير الواقدي ـ وهو ما ذكرنا سابقاً ـ

٣) في الصباح المبكر من يوم ٣٠ تموز ٦٣٤م (٢٨ جمادى الاول ١٣هـ)وبعد ان انهى الرجال صلاة الصبح، اعطى خالد اوامره بالتقدم الى مواقع القتال. وهو التقدم الذي زود المسلمون بتعليماته في اليوم السابق. وتقدم المسلمون الى الامام متخذين مواقعهم للقتال في السهل على بعد مئة ياردة امام المعسكر.

ونشر خالد جيشه باتجاه الغرب، على جبهة تقارب الخمسة اميال، وبامتداد كاف لمنع الجيش الروماني، الاضخم منه بكثير، من تطويق جوانبه. وانتشر الجيش بقلب وجناحين، والى جانب كل جناح وكامتداد للمقدمة، وضع خالد بجنبة حراسة ليزيد من طول مواجهته، وليمنع اي محاولة رومانية لتطويق الجوانب الاسلامية، او لتطويق موقع جيش المسلمين بالكامل.[٨]

٤) امر خالد نساء المسلمين بالاقامة وراء الجيش العربي الاسلامي. وكان عمل هؤلاء النسوة، هو الدعاء للمسلمين بالنصر، وحثهم على القتال، فكن كلما مر بهن رجل من المسلمين يرفعن اولادهن ويهتفن: قاتلوا دون اولادكم ونسائكم...[٩]

٥) في بداية المعركة عمل خالد على تقوية معنويات جيشه، فركب فرسه واخذ يتخلل صفوف المسلمين قائلاً «اعلموا انكم لستم ترون جيشاً مثل هذا اليوم، فان هزمهم الله على ايديكم فما تقوم لهم بعدها قائمة ابداً، فاصدقوا في الجهاد، وعليكم بنصر دينكم، واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار. والزموا المواكب، ومكنوا المضارب، ولا تحملوا حتى امركم بالحملة، واياظوا همكم.»[١٠]

ب) اجراءآت وردان:ـ

ولما رأى وردان ما فعله خالد، جمع اليه القواد والبطارقة وقال لهم «يا بني الاصفر، اعلموا ان الملك يحول عليكم، وإذا

انكسرتم لا تقوم لكم بعدها قائمة، وتملك العرب بلادكم، وتسبي حريمكم، فعليكم بالصبر، ولتكن حملتكم واحدة، ولا تتفرقوا، واعلموا ان كل ثلاثة منا بواحد منهم..»[٤٨]

وعندما رأى الرومان حركة المسلمين اندفعوا ايضاً، وبدأوا باتخاذ مواقعهم على بعد نصف ميل من خط المسلمين الامامي. وشكلوا حوالي نفس الجبهة. ولكن بعمق اكثر في ترتيب قتالهم، الا ان التخطيط المفصل لذلك غير معروف، وقد وقف وردان والقبقلار، محاطين بحراسهم، في الوسط.... وكانت تشكيلات الرومان الضخمة حاملة الصلبان الكبيرة والاعلام منظراً يثير الرعب[٤٩] وعندما تقدم المسلمون للقيام بالهجوم مهللين مكبرين، وشهد وردان قوة المسلمين وامداداتهم، حاول الدخول معهم في مفاوضات، فارسل شيخاً مسناً الى معسكر المسلمين، فلما اقترب هذا الشيخ من معسكر المسلمين، طلب قائد الجيش فخرج اليه خالد... فقال القس لخالد: انك دخلت بلاداً لم يجسر احد على دخولها، وقد دخلها الفرس، وعادوا خائبين، وكذلك التبابعة، وان نصركم (المسلمين) مؤقت. ثم عرض على بعض الاموال الهدايا، شريطة ان يرحل عن بلاد الشام. ثم هدده بعد ذلك بالقوات الرومية التي امامه على اعتبار انها اقوى مما سبقها من قوات. فرد عليه خالد طالباً منه اختيار واحد من امور ثلاث، الاسلام، الجزية، القتال...»[٥٠]

٣) المعركة:ـ

١) معركة اليوم الاول:ـ

بعد رجوع القس من مقابلة خالد بن الوليد، رتب وردان اصحابه، وتقدم جاعلاً الرجالة والخيالة صفاً امام قومه، وباديهم المزاريق والقس. وقام معاذ يامر رجاله بالهجوم، ويشجعهم وينبههم بالشهادة، لكن خالدا كان يستمهل معاذا وغيره من مقاتلي المسلمين حتى يوصي الناس، كما كان يطلب من قادته الصبر، وضبط النفس، والاحجام عن الهجوم حتى الظهر إذ وكان من راي خالد مدافعتهم، وان يؤخر القتال الى صلاة الظهر، عند مهب الرياح، تلك الساعة التي كان رسول الله (ﷺ) يستحب القتال فيها.

وبقي خالد يستعرض الصفوف، ويشجع المقاتلين. حتى ان (الدبار بكري) يشير الى ان الروم عاجلوا خالد مرتين من ميمنته وميسرته، فلم تتزحزح احداهما.

فلما اقترب الجمعان ورمى الروم بسهامهم على المسلمين رمية واحدة. طلب ضرار او (سعيد بن يزيد) من خالد ان يقوم المسلمون بالهجوم، لكي لا يظن العدو ان المسلمين قد جزعوا، وفشلوا في الهجوم على العدو. فاجاز خالد ضراراً واستجاب له، فتقدم ضرار الى الامام[٥٠]

لقد طلب ضرار الاسراع في الهجوم، عندما ازعجته السهام والمقاليع التي كانت ترمي بثقلها على جيش المسلمين، لانه لم يكن لدى المسلمين شيئاً مؤثر يمنع عمل هذه السهام والمقاليع. فكانت الطريقة الوحيدة للتعامل مع الموقف هو التقرب من الرومان، اقرب ما يكون، لكن خالدا لم يكن ليرغب في المغامرة بنكسة عن طريق شن هجوم مبكر ضد الفرق الرومانية الحسنة التدريب... وعلى ذلك تكون المعركة قد بدأت قبل ساعتين من الظهر، مع قيام الروم باستعمال السهام والمقاليع.»[٥١]

لقد قرر المسلمون ابادة العناصر القيادية اولاً. فتقدم ضرار الى العدو وتحداه فبرز اليه اثنان من قادة الروم هما حاكم طبريا، وحاكم عمان فقتلهما ضرار في ساحة المعركة امام الجيشين....

وعندما وجد وردان ان ضراراً مستمرٌ في تحديه قرر النزول بنفسه الى ساحة المعركة، فاختار عشرة من رجاله الاشداء وتقدم بهم. ولما وجد خالد ذلك فعل الشيء ذاته، وتقدم متحدياً الروم، ثم اعقبهم بعض الرجال الاخرين الى ساحة المعركة حتى اختلط الحابل بالنابل اخيراً. وقد شهدت هذه المرحلة الرجوع في ميزان القتال لصالح المسلمين، حيث قتل العديد من قادة الرومان. وجاء وقت العصر فافترقوا، وانتهت معركة اليوم الاول بسقوط ثلاثة الاف من جند الروم فيهم عشرة من القادة وحكام الاقاليم منهم: رومان صاحب الامرة، ودمر صاحب نوى، وكوكب صاحب ارض البلقاء، ولاوي بن حنا صاحب غزة.»[٥٢]

وينفرد (الدبار بكري) في ذكر بعض قصص البطولة العربية الاسلامية التي جرت اثناء عملية الالتحام الاولى هذه، تدل على مدى تفاني العربي المسلم في القتال من اجل عقيدته، ومن هذه المآثر، ان ابان بن سعيد بن العاص اصابته نشابة فنزعها وعصب الجرح بعمامته، ثم نقله اخوته الى الوراء. ولكنه توفي اثر الضربة. وكان ابان هذا قد ابلى بلاءً حسناً. كما ان المهوب بن عمرو بن ضريس المذحجي، قتل يومئذٍ سبعة من الاعداء، وكان مستهلاً في قتاله، ولكنه طعن طعنة كان يرجو ان يشفى منها

ويعود للقتال. فمكث اربعة او خمسة ايام على امل الشفاء في معسكر المسلمين، فلما يئس من ذلك استأذن ابي عبيدة بالذهاب إلى اهله على ان يعود حال شفائه، فذهب الى اهله بعمر المدائن، فمات ودفن هناك[٣٣].

ب) معركة اليوم الثاني:-

بعد ان انفض القتال في مرحلته الاولى عند العصر، عقد وردان مجلساً من كبار قادته لتدارس الوضع، وبعد ان انب القادة الرومان وافرغ ما بجعبته من شكوى تقصيرهم، وبعد ان امتدح مآثر العرب في القتال، قام بتشجيعهم على خوض المعركة التالية بحماس اكثر، ثم طلب رايهم في اسلوب جديد لمنازلة العرب المسلمين في المرحلة التالية. فاقترح عليه رجل منهم قتل خالد بن الوليد، كي تنهار معنوية العرب

ولتنفيذ هذه المؤامرة قام وردان بنصب كمين لخالد، حيث طلب من خالد التقدم اليه في صباح اليوم التالي، لاجراء مفاوضات معه، وكان وردان قد كلف عشرة من جنوده، ان يكمنوا في تل الى الجهة اليمنى من ميدان المعركة، فاذا مر بهم خالد، اجهزوا عليه، ولكن خالد عرف بالمؤامرة، فارسل في الليل عشرة من اشجع قواده، فقتلوا رجال الكمين الرومي، وحلوا محلهم، وعندما تقدم وردان صباح اليوم التالي لاكمال خطة الكمين، وتحادث مع خالد، امسك وردان بخالد، وطلب من قوة الكمين ان تجهز عليه، فكان العكس، حيث قام القادة العرب بالهجوم على وردان وقتله، ثم القوا راسه في مقدمة صفوف العدو، مما ادى الى قيام معركة كانت فيها معنوية الروم منهارة بقدر قوة معنوية المسلمين العالية.[٣٤] وفي هذا دليل آخر على عبقرية خالد العسكرية التي تجلّت هنا في الاستفادة من خطة العدو وتحويلها لصالحه.

وعند التقاء الجيشين بدأت مرحلة اخرى من قتال التلاحم، واصبح القتال اشد شراسة، دون ان يحقق احدهما نجاحاً ملحوظاً. وشدد المسلمون الضرب على تشكيلات الروم. واستمات الروم في سبيل ايقاف الهجوم الاسلامي. وكان خالد وجميع قادته يقاتلون في مقدمة الرجال. وهكذا فعل ايضاً قادة الروم الذين استعدوا للموت، من اجل مجد امبراطوريتهم.

وتحول الميدان بعد قليل الى كوم من الاجساد البشرية اغلبها من قتل الروم، نتيجة القتال الشديد بين الطرفين.

وفي الاخير وعندما وصل الجانبان الى مرحلة استنزاف جميع قوتهم، القى خالد باحتياطه المكون من ٤,٠٠٠ رجل تحت قيادة يزيد نحو القلب، ونتيجة الزخم المضاف الى هذه التعزيزات، اخترق المسلمون عدة جهات من جيش الروم، مثبتين اسافين عميقة في جبهة الجيش الرومي[٣٥]

وتقدم جيش المسلمين الى الوسط حيث يوجد (القبقلار) براسه الملفوف بقطعة من القماش، وقتلوه، ويعتقد بان القبقلار، قد امر بلف راسه بقطعة من القماش - كي لا يرى المجزرة، لا يشاهد الهزيمة - كما سبق واشرنا - ومع موت القبقلار، ضعفت المقاومة الرومانية، ثم انهارت بعد قليل وانهزم الرومان من ساحة القتال.[٣٦]

هـ) الدروس والعبر المستفادة من هذه المعركة:-

١) لقد كان نصر المسلمين كاملاً، وقاتل الرومان باسلوب الكتلة الواحدة تماشياً مع اسلوب قتالهم الامبراطوري المنظم، ولكن لم يهزموا فقط من الناحية التكتيكية، قضى عليهم تماماً. ان جيش الروم في اجنادين، لم يعد جيشاً، على الرغم من تمكن عدد من قطعه من تدبير هربها، خصوصاً ذلك القسم الهارب الى القدس، والذي لقي الامان داخل اسوارها، ففي اللقاء الاول العظيم بين المسلمين والبيزنطيين تغلب اتباع محمد (ﷺ).

٢) لقد كان القتال قاسياً وكاملاً، ولكن من دون اي مناورات جيدة، حيث لم يحاول الجيش الرومي القيام باي حركة التفاف على جنبات المسلمين، لان كبر حجمه وبطئ حركته، اعاقه عن القيام بذلك. والمسلمون لم يقوموا بذلك ايضاً لان جيشهم كان صغيراً نسبياً. فالمناورة ضد جوانب ومؤخرة العدو كان يمكن ان تنفذ من قبل المسلمين عن طريق اضعاف القلب. وهي مغامرة غير مأمونة، لهذا السبب كان هذا الهجوم هجوماً جبهوياً يعتمد على اكوام من اجساد الرجال تغلبت فيه شجاعة وقيادة ومهارة المقاتلين المسلمين على الحجم الكبير لكتائب الرومان. ان الفرصة الوحيدة التي توفرت لخالد هي توقيت هجماته للحصول على الحد الاعلى من الفائدة من وضع الانتصار. وقد فعل خالد ذلك - كما ذكرنا - عندما كسر جيش الروم. كما اظهر خالد كفاءته

النموذجية بتنظيم المطاردة للتاكد من ان اكبر عدد من جيش الروم اطيح به قبل ان يصل الى مكان السلامة.[٣٠]

٣) يقيم الجنرال كلوب شخصية هرقل العسكرية بقوله: وينظر معظم المؤرخين على ضوء هزيمة هرقل النهائية على انه انسان ضعيف احمق مثير للدهشة، خاصة وانه قد اظهر جرأة وشجاعة ضد الفرس فيما مضى، وعجزاً كبيراً امام العرب بعد ذلك. وإذا ما صح تقديري العسكري للوضع، فانا ارى انه اراد ان يطبق في سوريا وفلسطين نفس الاساليب السوقية التي مكنته من الانتصار العسكري على كسرى، وكان مفتاح الخطة، تحطيم جيش عمرو ابن العاص عند بئر السبع، قبل ان تصله النجدات من جيش المسلمين الرئيسي في اليرموك[٣١]

والواقع ان ملخص خطة هرقل السوقية في بلاد الشام كانت تقوم على ما يلي:-

ا) يتخلى الروم عن الحدود الشامية الحجازية للعرب المسلمين عن طريق التراجع الى الوراء.

ب) تتجمع وحدات الجيش الرومي الاول في فلسطين... لمواجهة عمرو بن العاص.

جـ) تتجمع وحدات الجيش الرومي الثاني في انطاكية...

د) يزحف الجيش الرومي الثاني من انطاكية الى حمص ويباشر القتال مع كل فرقة من الفرق الاسلامية الثلاث المتجمعة في منطقة بصرى، كل على انفراد بحيث يفتك باحداها بعد الاخرى.

هـ) يترك لجيش فلسطين الرومي القضاء على جيش عمرو بن العاص. (انظر الخارطة رقم -١-) ان هذا الاسلوب القتالي يدعى بـ (المناورة بالخطوط الداخلية)، استعمله فيما بعد بنجاح كبير فردريك الثاني ملك بروسيا في معركة (لوثن) عام ١٧٥٧ ضد النمسا، كما استعمله نابليون في معركة (اوسترلتز) عام ١٨٠٥ ضد روسيا وحليفتها النمسا - كما حاول استعماله محمد شاه ملك خوارزم في حربه ضد جنكيز خان في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي ففشل. وقد فشل الروم في تطبيق هذه الخطة ضد الجيوش العربية الاسلامية المتقدمة لفتح الشام ايضاً، لان من شروط نجاح هذه المناورة، الجرأة والسرعة، وهذا ما كان ينقص جيش الروم، حيث لم يترك العرب لجيش الروم الوقت الكافي لتطبيقها فاخفقت خطتهم، وجاء خالد بن الوليد بعد ذلك ليطبقها بنجاح باهر ضارباً جيش فلسطين الرومي ضربة قاضية في اجنادين، ثم متوجهاً لضرب جيش انطاكية في معركة اليرموك[٣٢]

٤) كانت طريقة خالد في القتال، هي توقيت هجومه الى الوقت الذي يحصل فيه على الحد الاعلى من الفائدة من اي فرصة تكتيكية يمكن ان يطبقها على عدوه. وعندما لا توجد مثل تلك الفرصة، وعندما تكون المناورة مقيدة، فانه يستثمر التاثير النفسي بقتل القائد العام للعدو، او بعض القادة البارزين الاخرين، ثم انزال ضربة قوية بجيش العدو باجمعه، بينما يكون العدو في حالة ارتباك نتيجة الهزيمة المعنوية لمثل تلك الخسارة. وهنا فعل خالد الشيء نفسه فحالما قتل وردان، امر بالهجوم العام، فاندفع القلب والاجنحة والجوانب الى امام وهاجمت الرومان الذين كانوا الان تحت قيادة (القبقلار).[٣٣]

٥) ان تقدم المسلمين الى اجنادين كانت قضية اختيار، ومهما بقي الجيش الرومي في اجنادين، فانه لا يقدم تهديداً مباشراً للفرق الاسلامية، ولكن إذا ماتقدمت القوات الرومانية الى الامام فانها ستكون حالة تهديد للجيش الاسلامي. وعند ذلك تكون خطة العرب السوقية الطبيعية، هي الانسحاب الى القسم الشرقي او الجنوبي من الاردن، على ان يقاتلوا، وظهرهم الى الصحراء التي يستطيعون التراجع اليها في حالة الانكماش. وكان بامكان المسلمين انتظار الرومان ليبدأوا الحركة الاولى.

وفي مثل هذه الحالة نتساءل لماذا تقدم جيش المسلمين من الصحراء ودخل في اعماق المنطقة الخصبة المأهولة تجاه جيش الرومان الذي يبلغ حجمه ثلاثة امثال حجمه؟ ان الجواب يكمن في شخصية خالد. لقد كان قدره ان يقاتل، وبعد مرور اثني عشر قرناً فان قائداً لاحقاً آخر، هو نابليون، كان يقول « لا شيء يغريني اكثر من خوض معركة عظيمة» وهكذا كان الامر بالنسبة لخالد، فلو كان اي احد غير خالد قائداً للجيش الاسلامي، لكان من المشكوك فيه ان يتقدم المسلمون الى اجنادين.[٣٤]

٦) كان من المفروض ان يقاتل الروم المسلمين في ساحة المعركة بدلاً من الهزيمة امامهم، لان عرب الصحراء كانوا ماهرين في مطاردة اعدائهم. وقد انهزم الرومان في ثلاثة اتجاهات. فقسم انهزم باتجاه غزة، والاخر باتجاه يافا، ولكن القسم الاكبر من

المهاربين اتجه نحو القدس. وقدم خالد على الفور خيالته في بعض الكتائب لمطاردة المنهزمين في الطرق الثلاث، وعلى يد هؤلاء الخيالة فقد الروم اكثر مما فقدوه في قتال اليومين في سهل اجنادين، واستمرت المطاردة والقتل بالمهاربين حتى غروب الشمس عندما رجعت طوابير المطاردة الى المعسكر. ان جيش الروم كان قد مزق الى اجزاء.[٦٢]

لقد كان تراجع الروم على هذه الشاكلة تراجعاً باهض الثمن، إذا ما قسناه على راي الجنرال (كلاوزفيتز) في مثل هذه الحالة إذ يقول «ومن ناحية اخرى يتعرض المدافع المضطر الى التراجع بعد معركة خاسرة الى خسائر اكبر من المدافع الذي يقاتل قتالاً تراجعياً باختياره وارادته. لانه حتى لو كانت المقاومة اليومية التي مازال قادراً على القيام بها امام خصمه الذي يطارده مساوية لمقاومته في حالة التراجع الارادي، فانه يتعرض على الاقل للنسبة ذاتها من الخسائر، يضاف اليها خسائر المعركة ذاتها، وهو احتمال يتعارض تعارضاً تاماً ومطالب عملية التراجع»[٦٣]

و) نتائج المعركة:-

سيكون عرضنا لنتائج معركة اجنادين مستوحاً مما اورده المؤرخون الرواد بهذا الشأن بشكل عام، دون الاعتماد على مدرسة معينة. وبناءً على ذلك ستكون نتائج المعركة كما يلي:-

١) الخسائر:- تتبين خسائر الطرفين الرومي والاسلامي بالارواح من الكتاب الذي ارسله خالد بن الوليد الى ابي بكر الصديق (رض) بعد انتهاء المعركة، فبعد ان يزف خالد اخبار الانتصار للخليفة يشير الى ان عدد قتلى الروم كان خمسين الفاً، وان عدد من استشهد من المسلمين في اليوم الاول والثاني كان اربعمائة وخمسين رجلاً، منهم عشرون رجلاً من الانصار، وثلاثون رجلاً من اهل مكة وعشرون رجلاً من حمير. والباقي من اخلاط الناس![٦٤]

ورغم المبالغة الواردة في هذا القول الذي انفرد به الواقدي، إلا انه يمكن القول بان خسائر الروم كانت كبيرة جداً تتناسب مع عدد افراد الجيش الرومي. وقد اختلف المؤرخون المسلمون في اسماء من استشهد في هذه المعركة. ويورد البعض منهم اسماء العديد من الشهداء منهم مسلمة بن هشام بن المغيرة، وهبار بن الاسود بن عبد الاسد، ونعيم بن عبدالله النمام وهشام بن العاص بن وائل، وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، وعكرمة بن ابي جهل، والحارث بن هشام[٦٥]

٢) من النتائج المهمة لمعركة اجنادين، التأثير المعنوي الذي ولدته لقوات الطرفين. فعندما وصل كتاب خالد الى المدينة حاملاً بشائر النصر، خر الصديق لله ساجداً، وعم الفرح، وتجمع الناس من كل مكان، وكان من نتيجة ذلك ان تشجع الناس وتسابقوا في التطوع للخروج الى جبهة الشام رغبة في الثواب والاجر. ولا ريب ان الاخبار التي وصلت جبهة اليرموك عن انتصار العرب وهزيمة الروم في اجنادين، كانت قد اضعفت من معنويات الروم بالقدر الذي رفعته من معنويات العرب في تلك الجبهة.[٦٦]

٣) لقد عاش ابو بكر لدى انجاز الخطوة العظيمة في فتح الولاية التي كان عظيم الشوق في ان يراها محررة تحت سيطرة العرب المسلمين. انها النتائج الاولى للحكمة التي ابداها في نقل خالد بن الوليد من العراق الى سوريا. لقد توفي الصديق بعد شهر من معركة اجنادين في ٢٢ جمادى الثاني[٦٧]

وبقدر ما كان تأثير خبر الانتصار في اجنادين إيجابياً بالنسبة للصديق، كان هذا الخبر سلبياً بالنسبة لهرقل امبراطور الروم، حيث انقبض قلبه، واسقط يده، وركبه الرعب، فهرب من حمص الى انطاكية..[٦٨]

٤) انهزم الروم الى ايلياء (القدس) وقيسارية ودمشق وحمص، وتحصنهم بالمدن العظيمة[٦٩]. ان انتصار المسلمين في اجنادين فتح امامهم بوابة سوريا. ومهد لهم طريق الاندفاع في بلاد الشام. فهذه الارض ما كان بالامكان فتحها بمعركة واحدة. لان قوات امبراطورية رومية كبيرة بقيت في مدن سوريا وفلسطين، وكان في استطاعة امبراطور الروم ان يجلب الامدادات من جميع ارجاء الامبراطورية التي تمتد من ارمينيا الى البلقان. ولكن الضربة العظيمة الاولى لجيش الروم اينعت، وكان باستطاعة المسلمين الآن ان يكملوا فتوحاتهم وهم على يقين من انهم سوف لا يكونون اقل نجاحاً في المعارك الكبيرة التي تنتظرهم في اي موضع آخر[٧٠]

ويعلق الدكتور (فيليب حتي) على نتيجة انتصار العرب في اجنادين في موضعين متناقضين، يقول في الموضع الاول بان باب

فلسطين اصبح مفتوحا للفاتحين بعد معركة اجنادين «حيث بدأ العرب بشن حملات نظامية» ادت الى استسلام بصرى وفحل وبيسان.»[٣١]

ويعود الدكتور حتي ليعلق على هذا الامر في موضع آخر بقوله: واصبح باب فلسطين جميعها مفتوحاً الان امام الفاتحين. ولكنه يكمل كلامه فيقول «ولمدة ستة شهور نفذت هجمات عشوائية في جميع الاتجاهات» ثم يشير بعد ذلك الى استسلام بصرى وفحل وبيسان وهزيمة الروم في مرج الصفر[٣٢]. فهل كانت حملات العرب عشوائية في بلاد الشام ؟ لو كان الامر كذلك لما استطاعوا فتح بلاد الشام من اسفلها الى اعلاها في بحر ٣ سنوات (١٤ - ١٧هـ) والدليل على ذلك قيامه هو بذكر المدن التي فتحها العرب المسلمون بسرعة فائقة، وسقوطها الواحدة تلو الاخرى امام زحوفهم الجائحة.

ز) نتيجة البحث:-

نستنتج من كل ما عرضناه عن معركة اجنادين، ان هناك خلافاً حاداً بين المؤرخين الرواد في توقيت زمن حدوث المعركة، وفي اسماء قادة الجيوش العربية والرومية التي خاضت غمارها، وفي تعبئة قواتها، ومجريات احداثها. . ونظراً لما اثبته دراسة حديثة من ان معركة اجنادين دارت في سنة ١٣ هـ وليس في سنة ١٥ هـ، فاننا نرجح القول بان هناك اكثر من المعركة دارت في اجنادين في سنة ١٣هـ، او ان معركة اجنادين جرت بدورين او اكثر، تولى القيادة في كل دور مجموعة من القادة العرب والروم، الامر الذي نتج عنه اختلاف التعبئات مما ادى الى تضارب الاخبار واختلاطها لدى الرواة، ومن ثم لدى المؤرخين الرواد الذين اخذوا عنهم، ولدى من اخذ عن هؤلاء الاخيرين بعد ذلك. اضافة الى هذا فان ما في المعركة من دروس وعبر مفيدة، ونتائج مستنبطة يجعلها ذات اهمية خاصة لدارسي التاريخ السياسي والعسكري.

الهوامش والمصادر

١) راجع الهاشمي - طه - معركة اجنادين، متى وقعت واين وقعت - مجلة المجمع العلمي العراقي (٢/ ٦٩ - ٧٩، ٨٥ - ٨٦) بغداد - ١٩٥١ - حيث يورد الهاشمي بحثاً مسهباً من مكان وزمان معركة اجنادين، جامعاً كافة الروايات العربية والاجنبية بهذا الخصوص، مقارناً وموازناً بينها، مستنتجاً نتائج اجمالية مثمرة.

٢) من المؤرخين الرواد الذين يوردون روايات يستنتج منها ان معركة اجنادين وقعت سنة ١٥هـ، اي بعد معركة اليرموك، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب كل من [الطبري - ابو جعفر محمد بن جرير - تاريخ الامم والملوك - ط١ - المطبعة الحسينية المصرية - بلا - (٤/ ١٥٧ - ١٥٨)، ابن الاثير - عز الدين ابو الحسن - الكامل في التاريخ - بيروت - ١٩٦٥ - (٢/ ٤٩٨ - ٤٩٩)، ابن كثير - عماد الدين ابي الفدا - البداية والنهاية - مصر - بلا (٧/ ٥٤)]. ومن المؤرخين الرواد الذين يوردون اخبار هذه المعركة في عهد الخليفة ابي بكر وبين احداث سنة ١٣هـ، اي قبل معركة اليرموك، كل من [الواقدي - محمد بن عمر - فتوح الشام - مصر - ١٣٢١هـ (١/ ٣٤ - ٣٥)، الطبري - المصدر السابق - (٤/ ٤٦)، ابن الاثير - المصدر السابق - (٢/ ٤١٧)، السهيلي - جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر - تاريخ الخلفاء - ط٤ - القاهرة - ١٩٦٩ - ص ٧٦ -، الدينار بكري - حسن بن محمد ابن الحسن - تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس - مصر - ١٢٨٣هـ (٢/ ٢٣٥)].

٣) راجع الهاشمي - المرجع السابق (٢/ ٨٦ - ٩٨، ١٠٢)

٤) المرجع السابق (٢/ ٩٩)

٥) البلاذري - احمد بن يحيى بن جابر - فتوح البلدان - القاهرة - ١٩٥٧ (١/ ١٣٥)

٦) سعيد - امين - حروب الاسلام والامبراطورية الرومية - مصر - ١٩٣٥ - ص ٧٩.

٧) يعني ارطبون الذي ادى لفلة الغلط والشكل في الحروف العربية بوصلها الى تصفحه الى ارطبون [العقاد - عباس محمود - عمرو بن العاص - مصر - بلا - ص ٥٨ - ٥٩.

٧) الطبري - المصدر السابق - (٤/ ٣٩)، ٤/ ٤٥ - ٤٦)، ابن الاثير - المصدر السابق (٢/ ٤١٧)، ابن خلدون - عبدالرحمن - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت - ١٩٥٦ - (٢/ ٩٠٢ - ٩٠٣)

٨) الطبري - المصدر السابق - (٤/ ١٥٧)، ابن الاثير - المصدر السابق (٢/ ٤٩٨) ابن خلدون - المصدر السابق (٢/ ٩٤٨).

٩) الهاشمي - المرجع السابق - ص ١٠٠ - ١٠١ -

١٠) سعيد - المرجع السابق - ص ٩٤ -

١١) Glubb — Lieutenant — General — Sir Jon Bagot — The Great Arab Conquests — First Printed — 1963 — P — 144 —

١٢) الطبري - المصدر السابق (٤/ ٣٢)، ابن عساكر - ابو القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين - التاريخ الكبير - الشام - ١٣٢٩ - (١/ ١٤٤)، علي - محمد كرد - خطط الشام - دمشق - ١٩٢٥ (١/ ١١٢)، سعيد - المرجع السابق - ص ٦٦ - ٧٠، ٧٤ وص ٩١ - ٩٣، سويد - المقدم ياسين - معارك خالد بن الوليد - بيروت - ١٩٧٣ - ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

١٣) الطبري ـ المصدر السابق (٤/١٥٧)، ابن الاثير ـ المصدر السابق (٢/٤٩٨)

ابن خلدون ـ المصدر السابق (٢/٤٩٨)

١٤) فرج ـ محمد ـ شخصيات عسكرية اسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ـ ص ٢٤٦ ـ

١٥) الطبري ـ المصدر السابق ـ (٤/١٥٧)

١٦) المصدر السابق ـ (٤/١٥٧)، ابن الاثير ـ المصدر السابق (٢/٤٩٨)، ابن كثير ـ المصدر السابق (٧/٥٤)

١٧) ابن الاثير ـ المصدر السابق ـ (٢/٤١٧)

١٨) الطبري ـ المصدر السابق ـ (٤/١٥٧)، ابن الاثير ـ المصدر السابق (٢/٤٩٨ ـ

٤٩) انظر كذلك العقاد ـ عمرو بن العاص ـ ص ٥٧

١٩) العقاد ـ عمرو بن العاص ـ ص ٥٧ ـ ٥٨

٢٠) خطاب ـ اللواء الركن محمود شيت ـ قادة فتح الشام ومصر ـ ط ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ ص ١٥٩ ـ

٢١) الطبري ـ المصدر السابق (٤/٤٦)

٢٢) المصدر السابق (٤/١٥٧ ـ ١٥٨)، ابن الاثير ـ المصدر السابق (٢/٤٩٩)

Brockelmann — Carl — History of the Islamic People — London — 1964 — P — 53

٢٣) ابن خلدون ـ المصدر السابق (٢/٤٩٨)

٢٤) المصدر السابق (٢/٤٩٨)

٢٥) الطبري ـ المصدر السابق (٤/٤٥ ـ ٤٦)

٢٦) المصدر السابق (٤/١٥٨)

٢٧) سعيد ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٦، سويد ـ المرجع السابق ـ ص ٣٢٩ ، عساف ـ الفريق الاول الركن صالح مهدي ـ القيادة الناجحة ـ بغداد ـ ١٩٧٠ ـ ص ٥٢ ـ

٢٨) الواقدي ـ المصدر السابق ـ (١/٩)

٢٩) المصدر السابق (١/١٠)

٣٠) المصدر السابق (١/١٠ ـ ١١)

٣١) المصدر السابق (١/١٢ فما بعد)

٣٢) المصدر السابق (١/٨)

٣٣) المصدر السابق (١/١٠)

٣٤) سعيد ـ المرجع السابق ـ ١٠٥ ـ، سويد ـ المرجع السابق ـ ص ٣٢٩ ـ

٣٥) الواقدي ـ فتوح الشام ـ تصحيح وليم نامسوليس الايرلندي ـ كلكة ـ ١٣٧١هـ ـ ١٨٥٤م.

٣٦) راجع العسلي ـ بسام ـ فن الحرب ـ في عهود الخلفاء الراشدين والامويين ـ ط١ ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ـ ص ٩٧ ـ ٩٩ ـ

٣٧) الواقدي ـ المصدر السابق (١/٢٩)

٣٨) المصدر السابق (١/٢٤ ـ ٢٥)

٣٩) كون الدبقلار هنا رئيساً للاركان او نائباً للقائد العام هو مجرد تقدير من قبل صاحب الكلام

Abram — Major — General — The Sword of Allah — Khalid bin Alwaleed — His Life and Campains — Karachi — Dacca — 1970 — P — 331 — 332 —

٤٠) الواقدي ـ المصدر السابق (١/٢٩)

٤١) المصدر السابق (١/٢٩) ويختلف هذا الترتيب عن الترتيب الذي اورده (الدينار بكري) ـ الذي اخذ بعض رواياته عن الواقدي ـ حيث يقول «فخرج خالد فانزل ابا عبيدة في الرجال، وبعث معاذ بن جبل على الميمنة، وسعيد بن عامر على الميسرة، وسعد بن زيد بن عمر بن نفيل على الخيل» [الدينار بكري ـ المرجع السابق (٢/٢٣٤)].

٤٢) العسلي ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٧

٤٣) Abram — op — cit — P — 335

٤٤) Ibid — P — 334

٤٥) الدينار بكري ـ المرجع السابق ـ (٢/٢٣٤)

٤٦) الواقدي ـ المصدر السابق ـ (١/٢٨)

٤٧) المصدر السابق (١/٢٩)

٤٨) Abram — op — cit — P — 335

٤٩) الواقدي ـ المصدر السابق (١/٣٠)، العسلي ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٧ ـ Abram — op — cit — P — 336

(*) ان رغبة خالد في تأجيل القتال الى فترة ما بعد صلاة الظهر امر ليس بالجديد في معارك العرب المسلمين ـ لكن خالد سبق غيره في هذا المجال ـ وقد تطرقنا لتوضيح هذه النقطة في دراسة عسكرية عن معركة نهاوند (في احد اعداد مجلة افاق عربية). ففي معركة نهاوند حصل الامر نفسه، حيث كان قائد المعركة (النعمان بن مقرن) يطلب تأجيل القتال الى فترة ما بعد الظهر تيمناً بعمل الرسول (ﷺ)، وكان (المغيرة بن شعبة) يستعجل النعمان في الهجوم على جيش الفرس بسبب الازعاج الذي كان يسببه رماة النبال من الفرس لجيش المسلمين.

وقد اوضحنا انذاك من ان القول بان الرسول (ﷺ) كان يؤجل القتال الى فترة ما بعد الظهر فيه خلاف في النص بين المؤرخين المسلمين، وان الرسول (ﷺ) لم يؤجل القتال الى هذه الفترة الا حين وجود مصلحة معينة. وانه كثيراً ما كان يقاتل في غير هذا الوقت. وحالة تأجيل القتال الى ما بعد الظهر التي كان يطبقها الرسول (ﷺ) كانت تتم عندما يكون زمام المبادرة بيده، وبدافع مصلحة معينة. وهذا ما كانت عليه حالة خالد في معركة اجنادين، وهذا ما كانت عليه حالة النعمان في معركة نهاوند. فالتأجيل لم يأت اعتباطاً، وانما بدافع مصلحة معينة، وربما تكون تقنية هبوب الرياح وبرودة الهواء، وتغير اتجاه اشعة الشمس، تلك الامور التي قد تكون لها نتائج ايجابية على جيش المسلمين، ونتائج سلبية على جيش العدو، هي التي اوحت لخالد، كما اوحت للنعمان بطلب تأجيل القتال الى ما بعد الظهر. اضافة الى ما كان يسير عليه المسلمون في معظم معاركهم في صدر الاسلام من ايثارهم الانتظار امام جيش العدو، كي يقوم بالهجوم الاول حتى يرتطم بالجدار الصلب المرصوص

لقوات المسلمين فيرتد مذعوراً، وإذا ما كرر العدو هذه المحاولة فانه سيصاب بخيبة امل، وتتضعضع معنوياته، وبذلك يكون المسلمون قد عوضوا النقص في اعدادهم باستغلال المعنوية اروع استغلال. وهذا ما يقدره القادة الحادثون المتزنون، ولا يقدره القادة المتحمسون المندفعون (كضرار والمغيرة). اضافة الى هذا كله، فان عملية استدراج العدو عن طريق الصبر على مبادرته بالهجوم تجعله يبتعد عن حصونه، وخنادقه، ومراكز تموينه. ويبدد بقطع خط الرجعة عليه. [مجلة افاق عربية - العدد ٦ - السنة التاسعة - شباط ١٩٨٤ - ص ٤٠ - ٤١ -]

٤٩) الواقدي - المصدر السابق (١/ ٣٢ - ٣٤)، العسلي - المرجع السابق ص ١٠٨. ويلاحظ ان العسلي استعمل اسم (تذارق) كقائد للروم هنا بدلاً من اسم (وردان) علماً بانه استقى معلوماته من الواقدي - كما هو واضح من سياق الكلام - حيث انه لم يشر الى المصدر الذي اخذ عنه - والواقدي يكرر اسم (وردان) كمنظم للمؤامرة بجميع احداثها، وليس اسم (تذارق).

٥٠) الواقدي - المصدر السابق (١/ ٣٠) الدباغ بكري - المرجع السابق (٢/ ٢٣٤)

٥١) Akram — op — cit — P336 — 337

٥٢) الواقدي - المصدر السابق (١/ ٣٠ - ٣١)، العسلي - المرجع السابق - ص ١٠٧ - ١٠٨ - Akram — op — cit — P337 — 338

٥٣) الدباغ بكري - المصدر السابق (٢/ ٢٣٤)

٥٤) الواقدي - المصدر السابق (١/ ٣٢ - ٣٤)، العسلي - المرجع السابق ص ١٠٨. ويلاحظ ان العسلي استعمل اسم (تذارق) كقائد للروم هنا بدلاً من اسم (وردان) علماً بانه استقى معلوماته من الواقدي - كما هو واضح من سياق الكلام - حيث انه لم يشر الى المصدر الذي اخذ عنه - والواقدي يكرر اسم (وردان) كمنظم للمؤامرة بجميع احداثها، وليس اسم (تذارق).

٥٥) — Akram — op — cit — p — 343

٥٦) الطبري - المصدر السابق (٤/ ٤٦) — 342 — Akram — op — cit — p

ويلاحظ هنا ان Akram المتأثر بروايات الواقدي في جميع ماروى عن هذه المعركة، اخذ هذه الرواية الاخيرة عن الطبري.

٥٧) — Akram — op — cit — p — 343

٥٨) — Glubb — Op — cit — P — 144

٥٩) انظر سويد - المرجع السابق - ص ٢٢٧ - ٢٢٨، ولكن سويد يجعل قائد جيش فلسطين الرومي رجلاً يدعى (سرجيوس)، كما يجعل تيودور قائداً اعلى لجيش انطاكية الرومي. انظر كذلك ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

٦٠) Akram — Op — cit — P 341 — 342

٦١) Akram — Op — cit — p 331 — 332

ولكني ارى في هذا الكلام قسوة على بقية القادة العرب المسلمين الذين كانوا معه كيزيد، وابي عبيدة، وشرحبيل، وعمرو بن العاص. وصحيح ان خالداً كان قائداً من الطراز الاول، إلا ان بقية القادة لم يكونوا قاصرين ابداً، واعمالهم السابقة واللاحقة تدل على مدى عظم عبقريتهم في المجال العسكري.

٦٢) — Akram — Op — cit — p — 342

٦٣) كلاوزفيتز - الجنرال كارل فون - الوجيز في الحرب - ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي - بيروت - ١٩٧٤ - ص ٣٧٠

٦٤) الواقدي - المصدر السابق - (١/ ٣٤)

٦٥) انظر الطبري - المصدر السابق (٤/ ٤٦)، ابن الاثير - المصدر السابق (٢/ ٤١٧)، انظر كذلك البلاذري - المصدر السابق (١/ ١٣٥) الحموي - ياقوت - معجم البلدان - ط ١ - مصر ١٩٠٦ (١/ ١٢٦)، الدباغ بكري - المرجع السابق (٢/ ٢٣٤)

٦٦) الواقدي - المصدر السابق (١/ ٣٥) - Glubb — op — cit — p 150

٦٧) Muir — Sir William — The Caliphate — Its Rise Decline and Fall — Edinburgh — 1924 — p — 71

٦٨) البلاذري - المصدر السابق (١/ ١٣٦)

٦٩) الدباغ بكري - المرجع السابق (٢/ ٢٣٤)

٧٠) Akram — op — cit — 334

٧١) Hitti — Philipk History of the Arabs — Third Edition Revised — London — 1943 — P — 150

Hitti — Philipk History of Syria — Second Edition — London — 1957 — P 414 See Brockelman — op — cit — p 52

المنطقة التي يُظن أن معركة اجنادين وقعت فيها

مأخوذة عن طه الهاشمي - معركة أجنادين، متى وقعت؟ وأين وقعت؟ - مجلة المجمع العلمي العراقي - العدد ٢ - بغداد - ١٩٥١ -

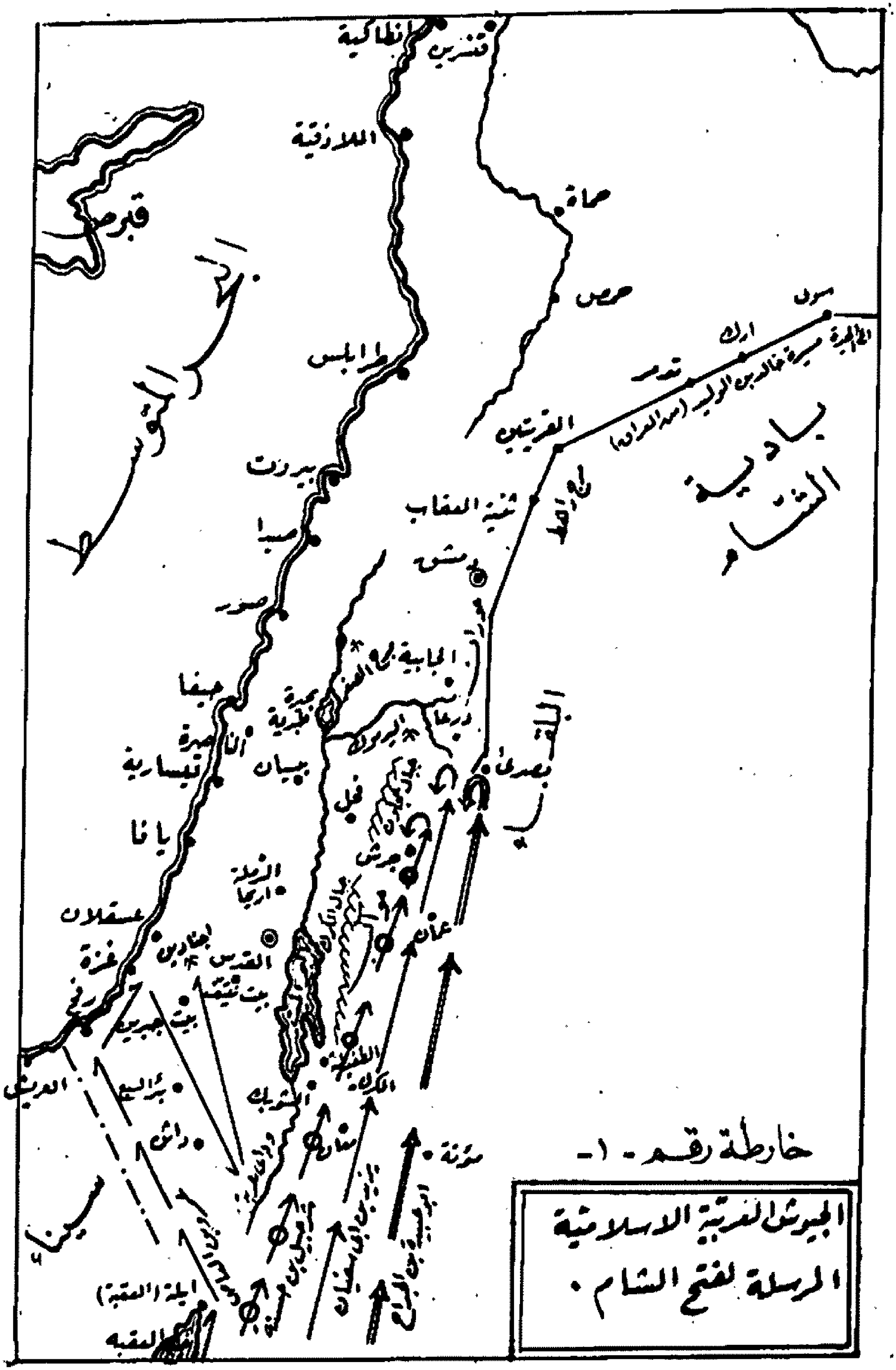

خارطة رقم - ١ -

الجيوش العربية الاسلامية المرسلة لفتح الشام .